اتّجاهات الشّعر الجزائري الحديث

تعدّ الفترة الممتدّة من 1924 إلى 1954 الأخصب والأكثر غزارة من حيث الإبداع الشّعري؛ إذ ظهر فيها عدد من الشّعراء، بعضهم مستقلّ، وبعضهم ينتمي إلى التّيار الإصلاحي، أو ينتمي إلى رجال الدّين الرّسميين (القضاء، الإفتاء، رؤساء الزّوايا)، وأهمّ ما وُصفت به هذه الفترة خو وجود اختلاف في المستوى بين الشّعراء، غير أنّ الحركة الشّعرية كانت تسير دائما نحو الأمام، واستمرّت في التّقدّم والتّوسّع، وقد ساعد على خلق هذا النّمو والتّطوّر جملة من العوامل، منها:

- انتعاش الحركة التّعليمية للغة والثّقافة العربية بعد تأسيس عدد كبير من المدارس عبر كامل القطر الجزائري.
- إضافة إلى ما خرّجته المدارس الرّسمية من عناصر معرّبة أو مزدوجة الهوية.
- إقبال جمهور الطّلاّب الجزائريين على طلب العلم خارج الجزائر، فخرج بعضهم إلى تونس، ومصر، والشّام، والحجاز، ليعودوا بعدها بفكر وثقافة وروح جديدة.
- عودة بعض العلماء المهاجرين، مثل: **الطّيّب العقبي** (الذي عاد من الحجاز)، و**الإبراهيمي** (من سوريا).
- ظهور الصّحف والمجلّات المستقلّة عن الحكومة، وتنافسها في نشر الإبداع الأدبي الفنّي، ما فتح المجال واسعا أمام الشّعراء لنشر قصائدهم، من بينها: **الإقدام**، و**الشّهاب**، ومختلف جرائد **أبي اليقظان** (النّجاح، والبلاغ، والبصائر، والإصلاح، والمنار).

وقد كانت هذه القصائد المنشورة يُقدّم لها، غالبا، بعبارات الاستحسان والمدح، ممّا يشجّع على الكتابة الشّعرية، كما تنوّعت من حيث **الأنماط**:

- **الشّعر السّياسي الصّريح والضّمني**، الذي برز فيه: **ابن باديس**، و**مفدي زكرياء**، و**محمد العيد آل خليفة**، و**الرّبيع بوشامة...**
- **الشّعر الذّاتي**، الذي ظهر مع: **مبارك جلواح**، و**رمضان حمّود**، و**الطّاهر البوشوشي**، و**عبد الكريم العقّون...**
- **الشّعر الاجتماعي**، الذي أبدع فيه مجموعة من الشّعراء، أمثال: **محمد العيد آل خليفة**، و**أحمد سحنون**، و**إبراهيم أبو اليقظان**، و**الصّادق خبشاش**، و**الهادي السّنوسي...**
- **الشّعر الدّيني**، الذي ظهر فيه: **أحمد المصطفى بن عليوة...**

وقد جمع بعض الشّعراء بين عدّة أغراض، مثل الشّاعر **محمد العيد آل خليفة**، والأهمّ أنّ هؤلاء الشّعراء مثّلوا مختلف اتّجاهات الشّعر الجزائري الحديث، فما هي هذه الاتّجاهات؟ وما هي أهمّ سماتها؟ ومن أبرز من مثّلها؟

أوّلا- الاتّجاه التّقليدي المحافظ:

اتّكأت النّهضة الفكرية والأدبية في الجزائر على استدعاء النّص التّقليدي ومحاكاته، فتبنّى المحافظون الطّروحات الأخلاقية والإصلاحية، كونهم يحاربون دعوات هدم التّراث العربي الإسلامي، وبنوا أفكارهم على:

- حثّ الشّعراء على ضرورة محاورة الموروث الحضاري العربي الإسلامي للشّعب الجزائري.
- وقوف علماء جمعية العلماء المسلمين ضدّ التّيارات التي تدعو إلى البعد عن الرّوح الوطنية بإبعاد الكتب النّقدية التي تدعو إلى التّجديد، وفي ذلك يعبّر **الغريب اللّقائي محمد بن سائح** حين صرف الشّعراء عن الأغراض اللّاهية، التي لا تخدم قضية وتسلك مسلكا أخلاقيا:

ألا فدع التّغزّل في الغواني *** فتلك طريقـــة المستهترينـــــــا
فمن صوت البلاد لنـا نداء *** يكـــاد المرء يسمعــه أنينـــــــا
وقوفا يا بني وطني وقوفـــا *** على ساق العزيمة مسرعين

- تحوّل الشّعر إلى البعد القومي التّربوي، حتى أنّ أصحاب النّزعات الفردانية الحديثة، تحدّثوا عن المرأة كرمز للوطن (محمد العيد آل خليفة، رمضان حمود، محمد الأكحل، مفدي زكرياء).

- لم يكن الشّعر غاية في حدّ ذاته، بل هو وسيلة من وسائل التّربية وإعداد الجيل، فالشّعر أصبح يحمل رسائل همّ المجتمع، وأخلاقه، ووحدته، والتّمسّك بدينه... وهي نفسها مبادئ الإصلاح التي نادى بها **ابن باديس.**

1- الخصائص الفنّية في شعر المحافظين:

- التّقيّد بالعروض الخليلي، من خلال نظام الوزن في القصيدة.
- حاولوا استثمار الموشّحات الأندلسية كنوع من الإمعان في تقليد المدوّنة الشّعرية العربية القديمة.
- الابتعاد عن الصّور الغريبة، والإغراق في الخيال، لتكون الصّور أوضح وأقرب إلى ذهن المتلقّي.
- مراعاة اللّغة البسيطة، والابتعاد عن لغة المعلّقات لمراعاة حالة المجتمع الجزائري آنذاك.
- اعتماد نبرة خطابية شعرية ذات جرس موسيقي قوي ليتفاعل مع المتلقّي.
- الاهتمام بمطلع القصيدة، وتصريع البيت الأوّل، وهو تقليد جرت عليه القصيدة العربية.

2- موضوعات شعر المحافظين: اهتمّ الاتّجاه التّقليدي المحافظ في الشّعر الجزائري الحديث بجملة من الموضوعات، أهمّها:

- **الموضع الأخلاقي:** الذي يدعو إلى نبذ الأخلاق الفاسدة، والتّطلّع إلى الأخلاق الفاضلة، وفي ذلك يقول **محمد المولود بن الموهوب،** معبّرا عن ضرورة الابتعاد عن الأخلاق الفاسدة:

رمت الأمواج بحر اللّهو منا *** أناسا للخمول ملازمينا
أضاعوا عرضهم والمال حبّا *** لبنت الحان فازدادوا جنونا

- **الموضوع الوطني:** يورد **أبو القاسم سعد الله** في كتابه **مدخل إلى الأدب الجزائري الحديث** حديثا عن مهمّة شعر المحافظين في حمل الهمّ الوطني، حين صرّح أنّ الشّعر الوطني حدث فيه تطوّر حين حمل الهمّ الوطني، وانغمس في التّغنّي بأمجاد الوطنية، وصوّر صراع النّخب حول الطّريقة المثلى للرّقي بالمجتمع الجزائري (الصّراع بين الإدماجيين بزعامة فرحات عبّاس، والانفصاليين بقيادة مصالي الحاج)، ومن الذين كتبوا في هذا الموضوع **إبراهيم أبو اليقظان،** الذي يقول:

سكتت مدافعكم وخفّ دويّها *** ولهيبها يا أيّها الثّوار
بدّلتم العلم المثلّث بالهلا *** ل ونجمة وكذلك الأنصار
أنتم ونحن روافد البلاد إذا *** هطلت على ربواتنا أمطار

- **الموضوع التّربوي العلمي:** من خلال الاهتمام بالعلم وبتلقينه؛ حيث رأى فيه الشّعراء سبيلا للخروج من دائرة الجهل، والأمّية، والتّخلّف، وقد نظم في هذا الموضوع **عمرو بن قدّور** قصيدة بعنوان **انزع غشاوات الضّمير تفيق،** يقول فيها:

انزع غشاوات الضّمير تفيق *** واصدع بما يُملي الضّمير تفوق
واعرف جمال العلم عند حلوله *** بضمير شهم للصّلاح رفيق